لبنـــــات
في النقد الذاتي

بوقفة رؤوف

اللبنة الأولى :عودة سدوم

لا أدري كلما مر على بالي ذكر مالك بن نبي إلا رافقته مقولة السيد المسيح:" لا كرامة لنبي في وطنه."

ربما لأن النبي ينشد التغيير نحو الأفضل والناس طبعها تسكن للثابت من العادات والتقاليد والأعراف والأفكار...

ولأن الفيلسوف أو المفكر كذلك مثله مثل النبي ينشد التغيير نحو الأفضل بغض النظر عن نطاق رقعة التغيير عند كل منهما

جاء مالك بن نبي في مجتمع غير مستيقظ, لكنه غير نائم في نفس الوقت , مازال عقله الجمعي عالق بجنة آدم قبل النزول ينشد العيش دون شقاء في عالم الشقاء , يرفض فتح عينيه حتى لا يصطدم بالواقع

مجتمع لم يأخذ كفايته من النوم الطبيعي,فتجده مشوش الذهن ,مضطرب السلوك , لا يستطيع التركيز ولا يحسن الفهم , ردت أفعاله غير طبيعية , لا يستطيع النهوض ولا يستطيع العودة إلى النوم, كأنه روح عالقة لا تستطيع التواصل مع البشر ولا تستطيع الولوج إلى عالم الأرواح , غير قادرة على العودة للجسد البشري ولا بمقدورها الصعود إلى السماء لترتاح , فتبقى تائهة , مضطربة هائمة , محتارة , غريبة ...

مجتمع فقد حاسة الذوق الاجتماعي واختلطت عنده المعايير الأخلاقية والموازين الجمالية فأصبح مجتمع سدومي يعاقب آل لوط بالنفي من مدينة سدوم وجريمتهم أنهم قوم يتطهرون

فحين تنقلب الموازين وتختل القيم تصبح الطهارة جريمة عقوبتها الطرد من البلاد

هذا هو حال مالك بن نبي عاقبه المجتمع السدومي بإبعاده عن المدينة لأنه ناد بالتطهر الفكري كما ناد قبله لوط عليه السلام بالتطهر الأخلاقي

وليس شرط أن يقولها أهل سدوم بأعلى صوت :" غادرنا لأنك تخالفنا التفكير , أفكارنا نجسة وبها رجس وأنت تنادي بتطهيرها , هكذا ورثناها عن آبائنا وهكذا نسلمها لأبنائنا دون تبديل أو تغيير راضين بنجاستها فرحين برجسها ."

بل ان عدم تفاعل أهل سدوم الحاضر مع أفكار بن نبي وعدم محاولة فهمها والأخذ بها لإشارة لكل لبيب برفضها والعمل على إخراج صاحبها

سدوم تعاود الظهور في كل حقبة وتتجلى في كل مرحلة , تجدد نفسها بنفسها , تغير اسمها وموقعها لكنها تحافظ على ذاتها وان تغير شكلها وتبدل عمرانها فذهنية سكانها تبقى كما هي منذ عهد النبي لوط عليه السلام , يرفض قومها أن يغيروا أفكارهم الميتة منها و القاتلة وان ظهر وسطهم مجدد أو مصلح أو مفكر أو فيلسوف فسوف يعاقب بالطرد خارج أسوار

المدينة بطريقة مباشرة أو دفعه للخروج بعد أن يتملكه شعور الغربة وسط أهله , فيخرج وهو ملتفتا لأي رمز من رموز المدينة المكانية يخاطبه قائلا : " والله لولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت."

obeikandl.com

اللبنة الثانية : الخطاب الحضاري والمتلقي الأعرابي

قد لا يختلف اثنان على أن مالك بن نبي مجدد الفكر الحضاري في العصر الحديث , وان كان بن خلدون واضع أسس علم الاجتماع فان بن نبي وضع أسس علم الحضارة

لقد كان خطاب بن نبي خطاب حضاري ,تنوع رد الفعل اتجاهه بتنوع المتلقي له , والذي يمكننا تصنيف تنوعه كالتالي:

1. المتلقي العاطفي السلبي :

ويمثله شخص المغرب العربي من التيار الإسلامي والإصلاحي والوطني , الذي يرى في بن نبي مكسب وصوت ورمز وعنوان كبير يلتف حوله لأجل خدمة قضيتهم والانتصار لها , لكن تلقيهم كان عاطفيا لا عقليا وسالبا لا موجبا , متشخصة في وضع الخطاب الحضاري على رفوف مكتبته المنزلية للافتخار بين الأقران انه يقرأ لبن نبي, فبدل إعمال الفكر وتدبر الخطاب الحضاري يكتفي به كزينة في شكل كتاب على الرف وربما يكتفي بحفظ فقرة من فقرات الكتاب أو بعض المصطلحات الخاصة بالخطاب الحضاري ليزوق وينمق بها حديثه مع الأقران للدلالة على ثقافته .

2 المتلقي العاطفي الايجابي :

ويمثله الشخص المصري الذي انبهر بالأسلوب الجديد لبن نبي في معالجته لمشاكل الحضارة , وبقى في مرحلة الانبهار من هذا الخطاب غير التقليدي دون ان يعمل على تحويل هذه الشحنة العاطفية الى خطوة عملية لتكون لبنة في صرح الحضارة .

3 المتلقي العقلي السلبي :

ويمثله شخص المغرب العربي من التيار التغريبي التسطيحي الذي لا يتفاعل مع الخطاب الحضاري لبن نبي بل يرى ان حل مشاكل العالم العربي تكون باستراد الحضارة الغربية بسلوكياتها وأنظمتها وقوانينها وأفكارها , وهو لا يعلم ان أي حضارة تنمو وتزدهر في بيئتها الاجتماعية وبقدر ما تعلو وتنمو شاهقة في سماء الرقي والازدهار والتطور بقدر ما تترسخ جذورها أكثر في التربة الاجتماعية لتتغذى من قيمها التاريخية وارثها , فان اخذنا شتلة الحضارة الغربية لنزرعها في تربتنا العربية فانها ستذبل وتموت , لأن تربتنا الاجتماعية غير التربة الاجتماعية الغربية ونسب الأملاح فيهما والتي تتغذى منها جذور شجرة الحضارة تختلف تنوعا ونسبة

4. المتلقي العقلي الايجابي :ويمثله

الشخص الشامي الذي تلقى الخطاب الحضاري ,تلقيا عقليا وناقشه مناقشة عقلية , لكنه لم يتعد حدود التنظير التي وضع نفسه

فيها ولم يخرج منها , محولا الخطاب الحضاري إلى مجرد خطاب رمزي بلغة تجريدية

5.المتلقي الفصامي :

وهذا النوع يرى أن الخطاب الحضاري بدعة لأنه لا يستشهد بالآيات ولا الأحاديث النبوية , ونجاة الأمة بالتمسك بالكتاب والسنة ,فمشكلتنا لا علاقة لها بالحضارة بل بالابتعاد عن تعاليم الدين الصحيحة التي فيها عزتنا وفي الابتعاد عنها ذلنا وهواننا

6 .المتلقي التفاعلي :

يجسده الشخص الماليزي الذي تلقى خطاب بن نبي , تلقيا روحيا , اختلطت فيه العاطفة بالعقل ناقلة خطاب بن نبي من عالم الأفكار إلى عالم الواقع , حيث زود ومازج بينهما لتتولد لحظة حضارية تنمو مع الوقت نموا طبيعيا

بعد عرض لأنواع المتلقي للخطاب الحضاري ومحاولة وضع خارطة تبين مناطق التلقي المتنوع , يطرح سؤال عن كيفية تحويل المتلقي العاطفي والعقلي بموجبهما وسالبهما والفصامي إلى تفاعلي؟ القاسم المشترك بين المتلقي العاطفي والعقلي بموجبهما وسالبهما والفصامي هو انهم كلهم صادرون من متلقي أعرابي المتلقي الأعرابي يتميز بخصائص وهي الكفر الفكري والنفاق الفكري ومرض القلب

الكفر الفكري :

ونجده عند المتلقي الفصامي الذي تدور ردت فعله حول الخطاب الحضاري بين التكفير والتبديع والتضليل والتفسيق , يتميز بسرعة في القاء التهم ويتعامل مع القضايا الفكرية من زاوية شرعية نصية , يهتم بالمبنى ويحاكم على أساسه دون ان يلتفت الى المعنى من الخطاب الحضاري

النفاق الفكري :

ونجده عند المتلقي العاطفي السلبي والايجابي والمتلقي العقلي الايجابي, بنسب متفاوتة وتأثيرات مختلفة , فنجد منهم من يقدس الخطاب الحضاري , والتقديس شأنه شأن التدنيس كلاهما يقيد النص ويحد من تأثيره وتفاعل المجتمع معه والتقديس يرفع الخطاب الفكري الى مستوى فوق العقل , فيحجر عليه ويمنعه من تطويره وتحريره وتنويره وتثويره

القلب المريض :

وهو المتلقي العقلي السالب الذي راى في الخطاب الحضاري لبن نبي تهديدا لفكره ومناقضا لمشروعه فيتعامل معه بشك وريبة وتسفيه وهو يلتقي مع الكفر الفكري في محاولة كليهما تدنيس الخطاب الحضاري

ان كـان الكفـر الفكـري والقلـب المـريض يحـاولان غـرس خطـاب حضـاري فـي السماء , فـان النفـاق الفكـري يحـاول غـرس الخطـاب الحضاري في الماء , والكل يعلم ان الغرس يكون في تربـة صـالحة للزراع نجدها في المتلقي التفاعلي.

واذا حللنا شخصية المتلقي الأعرابي نجده حبيس مرحلـة جنـة آدم عليه السلام قبل النـزول الـى الأرض , حيث العيش فـي الجنـة دون الم ولا تعب ولا ضجر ولا ملل , إقامة مجانيـة يلبـى فيهـا كل مـا يشـتهى , ليس فيها جوع ولا خوف , غير مطالب فيه بإعمال العقل ولا الذكر بالقلب

بعد نزول آدم الى الأرض وجد الأخطار من حيوانـات ضـارية وأمـراض قاتلـة وزلازل وبـراكين وحرائـق وجـوع وبـرد وخـوف , وجـد الشقاء بأنواعه , لذلك وجب عليه إعمال العقل ومداومة الذكر بالقلب , حتـى يحافظ على بقائه كان سلاحه العقل مـا دام لـم تكـن لـه أنيـاب ولا مخالـب ولا قوقعة , يجد به الحلول للمشاكل التي تعترضـه وقلـب يـداوم بـه الـدعاء طالبـا المعونة والنصرة والتوفيق من السماء مع أخذه بأسباب البقاء

وبالتـالي فشخصـية آدم مـرت بمـرحلتين متناقضـتين , مرحلـة قبـل النـزول ومرحلة بعد النزول

مرحلة قبل النزول :

حيث لم يحفز فيها العقل ولا القلب وهما عضوان متكاملان , لعدم وجود محفز خارجي (تهديد) فكان العقل والقلب في حالة سبات وخمول وسكون لم يستثار بعد بشجنة كهربائية خارجية تعيد النبض له وكأن قلب وعقل آدم كان في شرنقة لم يحن الوقت بعد لتفتحها

مرحلة بعد النزول :

حيث تم تحفيز قلب وعقل آدم بالأخطار الخارجية المحدقة به والمهددة لوجوده شخصية آدم قبل النزول لم تتلاشى ولم تتبخر , بل بقت خاملة ,ساكنة في العقل الباطن للمتلقي الأعرابي وفي وعيه الزائف وفي لا شعوره المتلقي الأعرابي اكتسب مناعة من المحفزات الخارجية , ففشل أي محفز خارجي في إعادة النبض لقلب المتلقي الأعرابي وتنشيط خلاياه العقلية , رغم قوة المحفزات الخارجية (سقوط الخلافة, الاستدمار...)

وبالتالي فالمتلقي الأعرابي سيبقى رهين حالته الذهنية ,أسير مرحلة قبل النزول , لن يستفيق منها , وسيفشل أي محفز خارجي في إفاقته عن طريق الصدمة والترويع والحل الأوحد ليتحول المتلقي الأعرابي الى متلقي عربي يكون وحده خير أمة أخرجت للناس هو عن طريق التحفيز الذاتي, الذي يأتي من داخل شخصه لا من خارجها .

اللبنة الثالثة : فقه الفروج

ما حكم البيضة التي تبيضها الدجاجة نكحها رجل, هل يجوز أكلها أم لا؟

وهل البهيمة التي واقعها رجل , تجلد مئة جلدة أم ترجم حتى الموت أم تغرب لمدة عام؟

والمرأة التي تلد دون زوج وتصرح بان زوجها من الجن فهل تقبل دعواها ولمن ينسب الولد وهل يقام عليها الحد؟

وهل يكتفي الرجل الأجنبي بثلاث رضعات مشبعات أم خمسة حين يرضع زميل في العمل ثدي زميلة له حتى يصبح من ذوي المحارم ؟

وما حكم مداعبة فرج الزوجة وتقبيله , هل هو مكروه كراهة تحريمية كما قال علماء السلفية ؟

أم أنه داخل في دائرة المباح, لأن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرم بالنص كما قال غيرهم من العلماء؟

هذه عينة من مسائل فقهية وقع فيها خلاف بين علماء الأمة, شغلت بال عموم المسلمين بمباركة سلاطين وملوك الدولة الإسلامية عبر العصور

فرغم ضخامة التراث الفقهي الإسلامي بتنوع مذاهبه بين الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي دون نسيان المذهب الظاهري والمذهب الزيدي دون نسيان المذاهب التي لم يكتب لها الظهور لعدم وجود الأتباع كمذهب سفيان الثوري وظهور مدارس فكرية كالاشاعرة والمعتزلة والصوفية وفرق إسلامية وطوائف

إلا أن ما كتب عن فقه الدولة لم يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة رغم انه في غيره من الأمور تكلم حتى في مسائل افتراضية كالتي مسخ زوجها هل تعتد عدة المطلقة أم الأرملة؟

الندرة التي نلمسها في تراثنا السني في فقه الدولة نجدها على العكس في التراث الشيعي ألاثني عشر الذي أسهب في التأليف منذ القدم مع محاولة لمواكبة المتغيرات التاريخية بين إمامة المعصوم وولاية الفقيه وولاية الأمة وبين عدم قيام دولة في ضل الغيبة الكبرى للإمام الحجة ثم التنصيص على قيامتها في ظل من ينوبه

والملاحظ ان فقه الدولة على قلة ما كتب فيه في التراث السني , فقه تبريري , يبرر الواقع غير المشروع بتأصيل شرعي ,وان كان اليوم كارثة الاقتصاد المدمرة هي: تبييض الأموال فان فقهاؤنا رحمهم الله قاموا بتبييض الحكام وان كانت عملية غسل الأموال جريمة يعاقب عليها القانون في جميع دول العالم فان علماؤنا قاموا بتشريع قانون غسل تنصيب الحكام وأسموه بحكم الغلبة وهو أن يتغلب احدهم على الخليفة الشرعي ولنقل أن

الغالب من العبيد يصبح خليفة المسلمين يجب له السمع والطاعة كما كان كافور الإخشيدي وهذا ما عرف في تاريخنا الزاهر بالأمراء المماليك وكما حدث مع المغول و التتار والبرامكة الذي كان الخليفة المسلم دمية (قارقوز) يحركونه كيف شاءوا فأضحى الخليفة منصب شكلي والسلطة الفعلية بيد رئيس الوزراء البرمكي وحاشيته ووجود خليفتين للمسلمين في نفس الزمان واستقلال بعض الأقاليم بالقوة عم الخلافة ويصبح ارتباطها بها صوريا فقط

باختصار إن الفقه السني هو الذي شرّع لظاهرة الانقلاب فأصبحت لصيقة بالحكم الإسلامي خصوصا في الدول العربية, لا يجد من يقوم به أي حرج ديني

أمام هذه الكوارث الواقعة على الأمة الإسلامية تعامل معها أئمة الصوفية على أنها ابتلاء لا نستطيع دفعه او تغيره ولا نملك أمامه سوى الصبر أما علماء السلف فقد شرعوها بحيل فقهية حتى لا تؤنبهم النفس اللوامة ولينجوا من مقص أو مقصلة السلطان أو لأنهم يئسوا من التغيير بعد سحق ثورة الحسين وانتفاضة الزبير

بينما فقهاء الشيعة لم يبرروا كما برر فقهاء السنة بل اقفلوا الباب كما اقفل فقهاء السنة باب الاجتهاد , فلن تقوم للمسلمين دولة مادام الإمام الحجة غائب فان أذن الله في فرجه تقوم الدولة على يده

لذلك لم يحفل الفقه الإسلامي بالدولة وركز اهتمامه بفقه الفروج بمباركة من خلفاء غير شرعيين وسلاطين فاسدين مفسدين حتى يصفوا لهم الأمر وقد صفا

بعد ظهور الثورة الفرنسية وسقوط الخلافة العثمانية الشكلية وظهور الحركات التحررية العربية وبروز علماء الإصلاح من جمال الدين الأفغاني والكواكبي والإمام محمد عبده وعبد الحميد بن باديس ثم حسن البنا وسيد قطب , رجع فقه الدولة ليظهر من جديد في الفكر الإسلامي , لكنه لم يتجاوز بعد الأطروحات التبريرية التي قوقع نفسه فيها ولم يستطع الخروج منها ومن غير المعقول أن ينتظر إخراجه منها بمساعدة خارجية دون تشويهه او تمسيخه

يئس بعض مفكرينا من خروج الفكر الإسلامي من قوقعته التاريخية ,فاتجه البعض منهم شرقا والبعض غربا وحاول كل طرف منهم إضفاء الصبغة الإسلامية على ما نهل منه سواء من الغرب أو الشرق فنجد كتابات عن الاشتراكية في الإسلام وكتابات عن الرأسمالية في الإسلام وعن الإسلام اليساري والإسلام اليميني

فهذا يؤكد على أن الاسم ثيوقراطي والآخر يدلل على أن الإسلام علماني

بينما قام بعض مفكرين بإضفاء الصبغة الدينية على القوقعة التاريخية فأصبح التاريخ البشري بسلبياته جزء من الدين الإسلامي ونتاج عمل

السلف الصالح وجب الاقتداء به والحذو حذوه لا اعتباره مجهود بشري صالح لفترة من الزمن لا صالح لكل زمن وهو نتيجة فهم بشري للدين مرتبط ببيئة وعادات وتقاليد متغيرة مع الزمن

لم يتجرأ أحد أن يفسر القرآن والسنة النبوية المؤكدة تفسير موضوعي دون خلفية أو حكم مسبق أو ميول لاتجاه معين , فنحن لا ننطلق من القران والسنة لنصل لرأي معين في مسألة , بل نكون رأينا ثم نبحث عن ما يدعمه من الكتاب والسنة

صحيح هناك بعض المحاولات الفردية المحتشمة التي لم يكتب لها الكمال لأنها تبقى فردية غير مرسخة في قيم الجماعة وعمل الفريق لكنها تحتسب صحوة أول الغيث قطرات

obeikandl.com

اللبنة الرابعة : توم وجيري الرسالة المشفرة

سلسـلة الرسـوم المتحركـة الشـهيرة عالميـا (تـوم وجيـري) التـي أحبهـا وأدمـن علـى مشـاهدتها أجنـاس البشـر بـاختلاف ألسنتهم وعقائـدهم , سلسلة كارتونيـة لا نمل من مشـاهدتها ,نضحك عى مقالبها عند كل مشاهدة وكأننا نشاهدها لأول مرة

بطلا القصة قط وفأر , لكن فـي ثنايـا القصـة تمييز عنصـري , كـان بصـمة لـزمن انجـاز السلسـلة , عنصـرية عرقيـة ,اذا تأملناهـا جيـدا تظهـر فـي أن الزوج والزوجة صاحبا البيت تظهرهما السلسلة كـاملين يمثلان النموذج أو الحلم الامريكـي وهمـا من البيض , بينمـا الخادمـة السوداء يكتفي ظهورها على الجزء السفلي دون ان يظهر رأسها

لا ادري أية رسالة أراد رسام السلسلة ايصالها للمشاهدين , ربمـا ان الـرأس الابـيض هـو السـيد والمفكـر والمقـرر وأن الاسـود يقتصـر ظهـوره علـى الرجلين واليدين كأداة خدمة فقط أو أن البشرة السوداء لا تحمل اي تفاصـيل جمالية تليق بأن تظهر في سلسلة كارتونية

ربما هذا المبدأ كـان صـحيحا من وجهـة نظـر متبنيـه فـي وقت من الأوقـات والآن أصبح جزء من التاريخ أو انحصر ليتحول الـى استثناء تتبنـاه اقليـات متشددة,لكنه للأسف بقى ويبقى خالدا , خلود سلسلة كارتونيـة نضـحك كثيرا من قلوبنا عند مشاهدتها ولا نلتفت للمعاني والدلالات والإشارات التـي تبثهـا

في عقلنا الباطن وفي بؤرة لا شعورنا , تنفجر في يوم من الايام في شكل جريمة عنصرية , نكتفي جميعنا بوصفها وحصرها في كلمة عنصرية , قد نحمل اسبابها لخطاب عنصري أو لحزب عنصري أو نقول ان مرتكبها يعاني اضطراب عقلي ولا نعرف انه قد يكون أهم سبب لها هي رسوم متحركة(توم وجيري)

وهل يمكن ان نرى في يوم من الايام حظر بث سلسلة توم وجيري بسبب معاداة السامية ...؟

لنعد ونتساءل كم من فيلم ومسلسل وشريط وثائقي وأغنية ولوحة فنية ومسرحية ورواية انطبعت في عقولنا وقلوبنا تحمل في ثناياها رسالة حضارية مشفرة قوامها العنصرية لعرق او لجنس او لدين او لثقافة ؟؟؟

obeikandl.com

اللبنة الخامسة: السيد توم والشيخ جيري

ماذا يريد السيد (توم) من الشيخ (جيري) في لعبة المطاردة الكرتونية التي تحولت إلى لعبة سياسية , هل يريد السيد توم القضاء على الشيخ جيري حقا؟

وهل يبقى معنى للعبة إن انتهى دور الشيخ جيري ليصبح طبق شهي دسم في معدة السيد توم ؟

أم أن الشيخ جيري سينتصر في معركته الشهيرة مع السيد توم في فوز استحقاقي بنسبة 99.99% ,لكن مع أنتصاره الساحق الماحق وصوت المكبر يردد :"ظهر الحق وزهق الباطل,أن الباطل كان زهوقا" سينتهي أيضا المسلسل الكارتوني الذي تحول إلى مسلسل الكتروني

ماذا سيشاهد بعدها المشاهد الأعرابي الذي مازال عقله في جنة آدم لم ينزل منها بعد , يصدق كل من اقسم له ناصحا سواء كان السيد توم أو الشيخ جيري ؟

لم يكن الدين يوما أفيون الشعوب, بل محاولة البعض وما أكثرهم (والكثرة تغلب الشجاعة)استخدام الدين كمخدر موضعي لأجل مصالحهم الذاتية وشهواتهم الخفية على رأسهم الشيخ جيري وينخدع الفرد الأعرابي الذي

obeikandi.com

مـازال عقلـه معلقـا فـي جنـة آدم لـم ينـزل منهـا بعد ولـن ينـزل ,لأنـه يخشـى الشقاء الذي يحتم عليه تشغيل خلاياه العقلية حتى يستطيع العيش بكرامة باعتبار أن الله كرّم أبناء آدم وحملهم على البر والبحر , في حين أن الفرد الأعرابي رفض التكريم الذي لا يحصل مع الحمل على البر والبحر إلا بمشقة والفرد الأعرابي يريد عقله أن يبقى في جنة آدم لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يجهد نفسه بالتفكير ما دام ليس هناك مشكلة تستدعي إعمال العقل

عقل الفرد الأعرابي ما زال حبيس مرحلة زمنية بائدة لا تتكرر, رفض الاستيقاظ من الغيبوبة لأنه اعتبرها انجح طريقة لعدم مواجهة الواقع المر

تفطن الشيخ جيري لهذه النقطة وركز عليها مجهوداته , فهو يبعث الأمل وينشر الأحلام الوردية السعيدة , حلم دولة راشدة تضاهي دولة الرسول أو دولة الخلافة الراشدة ,بل دولة تحتضن محاسنها وتبتعد عن مشاكلها من ظاهرة النفاق والفتنة بين الصحابة, دولة راشدة دون فتن ولا ابتلاء , دولة يسر خالية من العسر وليكن اسمها : دولة جنة آدم, فالحنين دوما لأول منزل

دولة العدالة والعدل ,حتى الملائكة فيها تكتسب صفة المواطنة وتنتخب لصالح الشيخ جيري حتى تكون عهدته مفتوحة غير محددة لأنه تم له الفتح المبين وجاء نصر الله فآزرته الملائكة ونصرته دون نسيان دور الجن المسلم وكل الجن في عهد الشيخ جيري اسلم ودخل أفواجا في الإسلام

السياسي فالشيخ جيري ولـيّ صاحب بركات ومقامات في السياسة الإسلامية والإيمان السياسي

جاء نصر الله وفاز الشيخ جيري في الانتخابات التي مازالت تدور بين البدعة ونعمة البدعة هي , وتم الفتح فقد فتحت له أبواب قصر الرئاسة

لا صوت يعلو صوت الفرد الأعرابي وهو يردد في رتابة مرتلا دون وعي في حلقة ذكر صوفية تحول فيها الشاهد إلى مشهود وهو يقول: " الحمد لله وحده أتم وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب (العلمانية والوطنية والمنافقة التي ظاهرها الإسلام وباطنها ملذات الدنيا الفانية) وحده

السيد توم يعلم هذا السيناريو جيدا ويعلم أن إمكانية حدوثه أكيدة وأن عقل الفرد الأعرابي أرض خصبة ليقطف الشيخ جيري ثمار ما زرع فيها

السيد توم يحاول في عبثية عقلانية مخاطبة الفرد الأعرابي بمنطق (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين), والفرد الأعرابي العاطفي التركيب , عقله مغيب عن الوجود , داخل في دائرة المشهود , لا زال لاوعيه ولا شعوره وعقله الباطن مستوطن في جنة آدم قبل النزول

الفرد الأعرابي تحول إلى جموع الفئران في أحد أفلام الكارتون التي تسير في ذهول كأنها منومة مغناطيسيا تتبع صوت الناي , والشيخ جيري هو العازف على الناي ليقودها نحو البحر الذي يرى فيه هلاكها حتى يتخلص منها بينما هي ترى فيه الصراط المستقيم المؤدي إلى جنة آدم

الفائز ليس السيد توم وحده , وليس الشيخ جيري فقط , فكلاهما فائزان , متفقين صراحة أم ضمنا بعقد مكتوب أو عرفي على تبادل أدوار الفوز والخسارة والخير والشر والصلاح والفساد والحب والكراهية لأن البيت الذي جمع السيد توم والشيخ جيري بين جدرانه وخاصة قرب المدفأة والثلاجة رمز الإطعام من جوع والأمن من خوف يسع السيد توم والشيخ جيري ويكفيهما كلاهما , فلماذا إذن الصراع والمطاردة المستمرة التي لا ولن تنتهي

السبب الأوحد للصراع وتبادل أدوار النصر والهزيمة والطيبة والقسوة والذكاء والغباء هو لإبقاء عقل الفرد الأعرابي في حالة الشهود لا يفيق من صدمة النزول من جنة آدم , ليشمر الفرد الأعرابي على ساعديه ويدرك أن جنة آدم مرحلة لا ولن تتكرر وهو الآن في الأرض ليشقى وشقاؤه هذا ليس من أجل إهانته أو إذلاله واستعباده بل من أجل إكرامه وتكريمه ولا يكتمل ذلك إلا بحمل المكنسة وكنس السيد توم والشيخ جيري من الدار وكتابة كلمة النهايـــة بالبنط العريض إيذانا بانتهاء دور الفرد الأعرابي المتفرج وبداية فرد عربي فاعل , وكل الخوف إن لم يتكيف الفرد مع هذا التحول , ليصبح بعدها فرد أعرابي مفعول به أو فيه.

اللبنة السادس ظاهرة الانتحار: الاسباب والعلاج

أمام تزايد نسبة الانتحار بشكل مقلق ومخيف وتنوع المنتحرين سواء من حيث الطبقة حيث مس جميع الطبقات المتعلمة منها وغير المتعلمة والقاطنة بالمدن والساكنة بالقرى أو من حيث الفئات العمرية فقد انتحر الشيخ كما انتحر الشاب والكهل وكذلك الطفل فالانتحار مس جميع الفئات العمرية والجنسية دون تفريق بين ذكر وأنثى , مما يجعل الأمر ظاهرة تهدد سلامة المجتمع وتمزق نسيجه وسنحاول في هذا المقال حصر الدوافع الكامنة وراء قرار المقبل على الانتحار بوضع حد لحياته ولنبدأ بالأسباب الاقتصادية

أولا الأسباب الاقتصادية :

نسبة من المنتحرين ,برر ذويهم انتحارهم نتيجة عدم توفر العمل واغلاق جميع الأبواب أمامهم رغم مرور سنوات كثيرة على تخرجهم من الجامعة فقرروا هم بدورهم اغلاق باب حياتهم (نحبك كوكة)للأبد وكذلك الأمر لأرباب المعينين لأعائلتهم المحتاجين للقوت وللباس والدواء ومصاريف التمدرس وهم اما بطالين أو مسرحين عن

العمـل أو أن دخلهـم لا يكفـي ولا يغطـي كـل تلـك المصـاريف فيلجئـون للانتحار كحل من مشكلاتهم كحل أخير بعد فشل كل الحلول ...

لكن ليس كل المنتحرين يعانون من أزمة اقتصادية ,أو يمرون بضائقة ماليـة ,ففيهم الموظفين الذين لا يشتكون اقتصـاديا لكنهم أقبلـوا علـى الانتحـار هذا من جهة ,ومن جهة أخرى هناك الألاف من المتسولين والمشـردين وملايين من البطالين والمسرحين والمعوزين يعـانون نفس معانـاة الـذين اقبلـوا علـى الانتحار وأحيانا أسواء منهـا بكثير لكنهم لم يقدمو علـى وضـع حد لحيـاتهم وهناك شعوب بأسرها أحاطت بها المجاعة من كل ناحية لكنها لم تقدم علـى الانتحار ...ممـا يعنـي أنـه قد يكون السبب الاقتصـادي دافع للانتحـار لكنـه ليس دافع حقيقي بل هو دافع تعليلي ,يعلل به الأمر بعد حصوله فقط.

ثانيا: الأسباب الاجتماعية :

متمثلة في تفكك الروابط الأسرية فهذا ينتحر بعد قتـل زوجتـه الخائنـة وعشيقها ,وتلـك تنتحـر لأن شـاب تخلـى عنهـا بعـد أن وعـدها بـالزواج وعبـث بشـرفها والأخـرى انتحـرت حتـى يبقـى أولادهـا الخمسة غصة في حلق أبوهم طليقها ,فلا ينعم بزواجـه الثـاني...وغير ذلك كثير من الأمثلة الاجتماعية .

لكـن السـؤال الـذي يفتـرض طرحـه هنـا : هـل كـل شـخص تعـرض لهـذا الموقف الشبيه بموقفي ,هل يقدم على قتل نفسه أم أنه يتصرف تصرف آخر

,هل بقتلي لنفسي انتقم من غيري أم أني انتقم من نفسي ولنفرض أني أردت الانتقام من تفسي ,هل أجازي نفسي لأنها وثقت في ذلك الشخص أو أنها خدمته عشر سنوات بكد وتعب بأن اقتلها بعد أن قتلت المرة الأولى حين تخلى عنها ؟ لذلك نجد أن الدافع الاجتماعي ليس حتى بحافز ليقوم شخص بوضع حد لحياته ,وأن الذي يدعي أنه سبب للانتحار فهو يخدع غيره فقط لأنه موقن في ذاته أنه ليس بالسبب الحقيقي كالفتى الذي حاول الانتحار نتيجة مللـه من الشجارات والصدمات التي لا تنتهي بين أبويه فلا موته يجعل الصدمات تتوقف ,بل ربما تزيد أكثر فالأب يحمل المسؤولية للأم والأم بدورها تحملها للأب ...

ثالثا الأسباب الطبية:

أو ما يعرف بالموت الرحيم ويتمثل في وجود مريض ميئوس من شفائه ومرضه يسبب له ألام وأوجاع لا تنتهي ,وهذا المريض مصيره الموت عاجلا أم آجلا ولا سبيل لشفائه أو علاجه ,وحتى لا يترك يتعذب ويعاني فانه يوضع حد لحياته رحمة ورأفة به ,وقد أجمع الفقهاء على حرمة القتل الرحيم وأن الفاعل يعد مجرم حتى بموافقة المريض واملريض الموافق يعتبر منتحرا,لأن الطبيب المفروض أنه عامل شفاء وسبب علاج لا عامل قضاء وسبب موت ,والمريض المفروض أن يصبر على البلاء ويحتسب الأجر وليعلم أن مرضه هذا قضاء وقدر من الله وان كل ألم ووجع يصيبه يزيل به اثم ارتكبه ويكتب له حسنة فلأن الله أحبه

اصابه بألم المرض الذي مهما طال فانه سينتهي وينساه ,بدل أن يصيبه ألم وعذاب نار جهنم التي مهما طال فانها تظل موقدة وعليه موصدة وأضن أنه لو خير بين الأمرين ,ألم المرض أو ألم نار جهنم لاختار ألم المرض دون تردد لأن الم قليل خير من الم كثير والم منتهي غير من الم دائم ...

رابعا الأسباب الدينية :

أود توضيح نقطة في هذا الأمر مفادها أن الدين يحرم الانتحار ولا يوجد في الأصل أي سبب أو وازع ديني يحث المرء على وضع حد لحياته لأن في حقيقة الأمر حياتك ليس ملك لك لأنك لم توجدها بل أودعها الله فيك فهي أمانة انت مسؤول على الحفاظ عليها حتى يحين الوقت ليقبض الله أمانته وذلك الوقت لست انت المسؤول عن تحديده وقرار رد الأمانة ليس بيدك تقريره بل هو قرار الاهي,وهب الروح لك وقت ما أراد ويسترجعها وقت ما يريد ,فان اتلفت أمانته تعاقب بجرم خيانة الأمانة لذلك فالانتحار حرام هذه هي النقطة الأولى ,أما النقطة الثانية فهو أن يقوم أحد ما بعملية انتحارية (سواء بسيارة مفخة ,أو حزام ناسف) يذهب ضحيتها اخوة له في الدين والوطن من أطفال وشيوخ ونساء ورجال يشهدون أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله ,يموتون دون وجه حق ودون أي ذنب ارتكبوه ولنفترض تجاوزا أنه اخطأوا فمن عينك قاض عليهم لتحكم بأنهم مذنبين يستحقون عقوبة الموت ,ثم من عينك الجلاد المنفذ للحكم وقبل هذا من عينك جهة اتهام لتوجه لهم التهم ,فأنت اذن المعي

العام وانت القاضي وانت السجان في آن دون أي تفويض أو تخويل سماوي ,أن محمد صلى الله عليه وسلم كان يعلم المنافقين بالاسم واللقب وبأشخاصهم وذواتهم ,ورغم أنهم كانوا مضمرين الكفر مظهرين الاسلام يسعون في خيفة لتقويض دولة الايمان الا انه لم يقتلهم وحين طلب البه أحد الصحابة الكرام بالسماح له بقتل رأس النفاق أجاب أخشى ان يقول الناس محمد يقتل اصحابه وترك عقابهم لخالقهم ,فما بالك بالذي يقتل الأباء والأمهات والاخوة والاخوات والأهل والعشيرة وهم مبرؤون من النفاق وهو ليس بنبي معصوم والوحي انقطع من السماء حتى نعلم المنافق من غيره والكل مسلم ,فان قال قائل اقاتل الحكام لأنهم طواغيت ارتدوا وولائهم كان لشياطين الانس لا لله ويلحق في حكمهم الطوائف أو الفرق المعينة لهم من رجال الأمن والجيش وحين افجر نفسي وأياهم أذهب للجنة وهم الى النار ,فهذا من تلبيس إبليس فهم على دين الإسلام ماداموا يقيمون أركانه وان كانوا فساقا مقصرين ,ونحن نحكم على ظاهرهم والله يتولى سرائرهم وبالتالي فان فجرت نفسك فأنت لست بشهيد بل أخطأت لجهلك ولا يعذر جاهل لجهله فأهل الذكر موجودون وعليه بالسؤال سؤال العالم الثقة

خامسا :الأسباب النفسية :

لكل من هدف يسعى لتحقيقه وحلم يأمل في تجسيده ,لكن يحدث أنه في لحظة يشعر أن كل ما بناه ويبنيه يتداعى أمامه بشكل متسارع ,يشعر بمرارة ,بحزن شديد ,بعذاب فضيع ,بألم قاتل ,الهدف

الذي ضللت لسنوات عديدة أركض لتحقيقه يتبخر أمام ناظري ,دون أن استطيع حراكا وتسود الدنيا في عينيه ,لا يرى الا الفشل ولا يسمع الا كلمات العتاب واللوم ,انه يريد ان يتخلص من ذلك الصوت الغير منقطع في أذنيه ,انه يريد الهرب من تلك الصور المفزعة كلما اغمض عينيه ولا سبيل لذلك ,لا أدوية مهدئة ولا استماع شريط أغاني كان يريح أعصابه سابقا عندما يسمعه ,لم يستطع النسيان رغم كثرة ما دخن رغم كثرة ما شرب الخمر ,لم تستطع الجلسات الحميمية نسيانه ولا جرعات المخدرات ,لا حل سوى الموت ,هو السكون الوحيد الدائم والأبدي ,حتى يخمد ذلك الصوت اللعين ,حتى تنقطع تلك الصور المرعبة ,ويجري في جنون باحثا عن الحبل والفرح بادىء على ملامح وحهه لأنه أخيرا اهتدى للطريقة المثلى للتخلص من ألامه نهائيا انها الانتحار لكن المشكلة اعتقاده أن الموت هو نهاية الحياة المملوءة بالمتاعب والمشاكل ولا يعرف أو غير مؤمن بأن الموت ما هو الا مرحلة زمنية فاصلة بين حياتين ,حياة أخرى أبدية دائمة وهي اما نعيم مقيم أو جحيم ,فلو كان مؤمن بانه عندما يضع حد لحياته فسرعان ما يستيقض من النوم ليجد نفسه أمام خالقه ليقول له ياعبدي لقد أعطيت لك نعمة الحياة هذه النعمة التي حسدك عليها كل جماد وأعطيتك نعمة العقل حسدها عليك كل حيوان ,وأرسلت لك لك محمد رسولا وانزلت لك القرآن حتى تعرفني ,وتعرف أن الروح التي انت وضعت لها حدا بارادتك هي أمانة ,أنا مالكها وضعتها فيك وقتما اردت وآخذها وقت ما اريد لكنك تخلصت منها بارادتك دون استئذاني وتصرفت فيما لا تملك دون اذن

صاحب الملكية ,لقد خنت الامانة وضيعتها دون وجه حق .... لقد وضعتك في الدنيا موضع امتحان واختبار لأرى هل تصبر على ضروفها القاسية ومشاكلها وتعبدني على السراء والضراء لأني ما خلقتك الا لعبادتي ولتعمل بما أمرتك وتبتعد عن ما نهيتك وتصبر على ما أصبتك وتحمدني على ما رزقتك وترضى بقضائي وقدري وان تطمع في رحمتي فماذا فعلت وكيف تصرفت؟؟

بماذا ستجيبه ,تقول له لم أعلم أن هناك حياة بعد الموت رغم أني مسلم ....تقول له لم أفكر بهذا الأمر رغم اني املك عقل ؟...لا أعرف بماذا ستجيبه بالضبط ,لكن أعرف أنك انك في قرارة نفسك تقول نعم لقد اخطأت واستحق العقاب .

ملخص القول :

الشخص المقبل على الانتحار ,يرى أنه فشل في الحياة ولا يستحق أن يبقى دقيقة فوق الأرض لذلك قرر وضع حد لحياته لاعتقاده أن حياته ملك له وحده له حق التصرف الحصري والمطلق فيها له وحده ,وهذا قصور منه في الفهم ,لأن نعمة الحياة هبة ربانية وجب عليه استخدامها والاستفادة منها وفقا للارادة الالهية ,ويعلم ان الهدف من ايجاده هو عبادة الله ,وهو حين يعبده يمتثل لأوامره ويجتنب نواهيه ,ويعلم أن كل ما أصابه من مصائب الدنيا هو أمر كقدر من عند الله فيقول بلسانه وقلبه ان لله وان اليه راجعون والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه وأن الخيرة فيما

اختاره الله ,وعسى أن أكره شيء وهو خير لي لأني لا اعلم ما يعلمه الله فربما الوظيفة التي خسرتها كان فيها سجني ,وربما السيارة التي سرقت مني كان بسببها وفاتي في حادث ...ولو تأمل كل واحد منا ما واجهه في حياته ورأى أن الأمور التي فشل في تحقيقها أو تمنى حدوثها ولم تحصل فحزن عليها وندم ,اته بعد مرور الزمن حمد الله أنها لم تحصل لأن النجاح كان في غير الأبواب التي طرقها وأراد عنوة فتحها لكن الله لم يفتحها له حبا وحماية له من ما يوجد وراءها ,فالشريك الذي أراد مشاركته في التجارة ولم يجد من يقرضه المال ليدخل معه في شراكة ,ورغم غنى أبوه لم يرد ان يقرضه ,فضاعت عليه فرصة ان يكون تاجرا فتفرغ للتحصيل العلمي بعدها بزمن علم أن من اراد مشاركته نصاب محتال يشلرك الناس ثم يخدعهم ويأخذ بكل حصتهم ,فيحمد الله أن اباه لم يمنحه النقود وضغط عليه ليكمل دراسته الجامعية التي حصل نت وراءها على وظيفة وسيارة وسكن...الانسان كطفل صغير يحبوا يرى شيئا يلمع يهرع اليه ليمسكه لكن الأم تجري وتحمله مبعدته , الطفل يبكي ويصرخ ويكره أمه لأنها حرمته من اللعب بشيء بارق ولامع لم تتركه يتمتع بذلك البريق الذي خطف بصره وشغل ذهنه ,لكنه بعد زمن يعرف أن لمعان ذلك الشيء هو السنة لهب نار وان حب أمه وخوفها عليه من احتراقه هو الذي جعلها تمنعه وتبعده عن الخطر الذي فيه اذيته وهو يحسب أن فيه سعادته ,كذلك الله – ولله المثل الأعلى -يجنبنا اشياء نعتقد أنها ستجلب لنا السعادة لكن في حقيقة الأمر هي سبب هلاكنا

اذن نحن نسعى لتحقيق أحلامنا وطموحاتنا المشروعة حتى يبارك الله سعينا ,فان تحققت نحمد الله وان لم تتحقق نعلم أنه لو فيها خير لنا لوفقنا الله اليها ,لكن فيها ضرر لم نراه وسيتبين مع الأيام وان لم يتبين فلا يعني هذا انعدامه ,وان الله يحبنا لذلك أوجدنا وغيرنا عدم ومتعنا بنعمة العقل وغيرنا عجم ومتعنا بنعمة الاسلام وارسل الرسل لذلك فانا اثق في اختياره لي واشكره في السراء واصبر في الضراء على القضاء ,صبر محتسب الأجر ,لا صبر ساخط ,واعلم ان بعد العسر يسر وان مهما طال ظلام الليل فان الفجر سيبزغ نوره وان الشمس مهما طال الظلام ستسطع ,فلا اقنط من رحمة الله ولا أياس ,لأني احسن الضن به ,لأنه خالقي ,فلن يتركني ,ولن يتخلى عني ,رعايته تحيطني ورحمته ملتفت بي ونعمه واحسانه مغدق علي ...

لذلك وجب القيام بتوعية ايمانية نعرّف فيها الفرد بخالقه وحبه له ونعرفه كذلك بنفسه والعلاقة بين النفس وخالقها والتفاعل الحاصل بينهما في صيغة واضحة محددة ,وهي محراب العبودية ,فهو يجد ذاته ويحقق ارادته ويتجرر في اطار عبوديته لخالقه وبه يستعين على ذلك طالبا منه هدايته لصراطها وتوفيقه للسير فيها للوصول الى النعيم النفسي وهي طمأنينة قلبه والى النعيم الأخروي وهو الجنة ,لأن بذكر الله تطمان القلوب ومن يبتعد أو يتخلى عن ذكر الله فان له معيشة ضنكى ,هذا الضنك ليس في الأمور المادية فقط بل يجد آثاره في قلبه ,انه يشعر أن قلبه منقبض وانه يختنق وأن به ضيق وقلق ولا يعرف السبب والذي هو بعده عن الله لكنه لا يريد

أن يقر بهذا السبب ,ويبحث عن دواء لهذا الضيق النفسي ولهذا الانقباض والتوتر في كل مكان ما عدا ذكر الله ولما لا يجد يقرر انهاء حياته حتى يتخلص من هذا الضيق ويرتاح في اعتقاده الخاطىء وليته يرتاح

obeikandl.com

اللبنة السابعة : المجتمع الراشد قبل الحكم الراشد

بـــدأ تـــرويج موضـــوع الحكم الراشد كحل جذري لكافة مشاكل البلاد، والحقيقة أن الحكم الراشد مطلب جميع الشعوب منذ القدم لأن من انعكاساته : العدالة والأمن والحرية والاســـــــــــــــــتقرار...

والحكم الراشد يأتي نتيجة بينما نحن نريد جعله مقدمة، فلو تصورنا هرما لكان الحكم الراشد هو قمة الهرم، ومعلوم أن في بناء أي هرم نبدأ بالأساس والقاعدة ثم تأتي القمة كتتويج للبناء وبالتالي قبل الوصول إلى الحكم الراشد والذي هو قمة الهرم لا بد من المرور أولا عن طريق القاعدة وهي المقدمة التي تأتي قبل النتيجة والقاعدة ونقصد بها المقدمة التي هي المجتمع الراشد لأنه كما نكون يولى علينا فان كان المجتمع راشدا يكون الحكم راشدا ولا بأس بذكر أمثلة توضيحية من تاريخنا المجيد. ففي ظل الخلافة الراشدة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وفي إحدى خطبه حين طلب من الرعية إن رأوا فيه اعوجاجا أن يقوموه نطق أحد الحضور قائلا: "والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف."

لا نسلط الضوء هنا على جانب الحكم الراشد من جعل الشعب هيئة لها صلاحية الرقابة القبلية والبعدية على أعمال السلطة التنفيذية بل نسلط الضوء على الشعب الراشد ومستوى وعيه وإدراكه لمسؤولياته فلم يهتف لعمر بن الخطاب في تملق ونفاق بأنه على الصراط المستقيم لا يعرف الاعوجاج ولا يحتاج لتقويم أو تقييم ولم تثر الجماعة على الصوت

المهدد بتقويمه بحد السيف محررة عريضة تتبرأ منه، ومعنى هذا أن ذلك الصوت ناطق رسمي نيابة عنهم إن لم يكن هو صوت ضميرهم الجمعي

روح هذه الصورة نجدها متجسدة في حادثة أخرى مع الخليفة نفسه حينما أراد ذات مرة أن يحدد المهور عندما لاحظ مغالاة الناس فيها وعزوف الشباب عن الزواج نتيجة لعدم مقدرتهم على ذلك ،أراد الخليفة تحديد سقف معين لها بما له من سلطة مخولة في ذلك فوقفت امرأة في وجهه مذكرة إياه بآية من القرآن تتحدث عن مقدار قنطار من الذهب كمهر فما كان من الخليفة إلا أن قال: أصابت المرأة وأخطأ عمر . حديثنا هنا ليس على تجسيد الحكم الراشد في هذه القصة من مراجعة السلطة لقراراتها وقبولها لحق النقد ومنحها للشعب حق النقض بل نركز على المجتمع الراشد الذي لم يصفق ويهلل لقرارات حاكمه بصفة آلية بل يمحص وينقد، نركز على مجتمع راشد يناقش قرارات حكومته ويبين الصواب من الخطأ فيها.

والنقطة التي أردت توضيحها من خلال هذين المثالين هو أن الحكم الراشد يأتي في زمن الشعب الراشد ، فان لم يكن هناك شعب راشد، فالحكم لراشد على فرض وجوده، فانه لا يستمر، بل يصبح ذاتيا مرتبطا بشخص يزول بزواله ولا أدل على ذلك من حكم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، فالحكم الراشد برز عند توليه الخلافة وولى بوفاته ، وعلى عكس ذلك فوجود تقاليد راشدة عند المجتمع الألماني واليباني مثلا أدى إلى

نتـائج بـاهرة محققـة رغـم تعاقـب نظـم حكـم غيـر راشـدة عليهمـا ورغـم خروجهما منهارتين تماما من حروب مدمرة.

الثمـــــــار الجيـــــــدة مـــــــن الشـــــــجرة الجيـــــــدة من خـلال هذه الأمثلـة تتجلـى أمامنـا نتيجـة مفادهـا أنـه إذا كنـا نملك قاعدة صلبة متينة وهي المجتمع الراشد فالقمة إن لم تكن متينة اليوم فستكون غدا لأن الشـجرة الجيدة تعطـي ثمـارا جيدة فـان كـان ثمرهـا رديئـا هذا الموسـم، فالموسـم القـادم يكـون المحصـول جيـدا، أمـا إذا كانـت القاعـدة غيـر صـلبة ونعني مجتمعا غير راشد، فإنـه وان كانـت القمـة متينـة فلا أساسـات ترتكز عليهـــــا وســـــيأتي يـــــوم وتتـــــداعى فيـــــه. وبالتالي فالإشكالية ليست في نظـام الحكم بل فـي الشعب ويجـب أن نتحلـى بقليل من الشجاعة حتـى نقول إن العيـب فـي أنفسنا لأنـه بسـهولة تامـة نـتهم نظاما ما بأنه غير راشد وأن الحل فـي ترشيده وربمـا نقدم أنفسنا كبدائل – رغم أن النتيجـة تبقـى نفسـها بنـاء علـى المقدمات المـذكورة سلفا -لكن من الصعب أن نقول أن العيب فـي الشعب لأننـا ببسـاطة نحـن الشـعب، والنفس البشرية بطبعها وان أخطأت لا تود أن يكاشفها أحد بخطئها، فمعظمنـا يـرى القذى في عين أخيه ويغفل عن الخشبة فـي عينـه، هذا من جهـة، ومن جهـة أخـرى، فـان ترسـيخ تقاليـد الرشـاد فـي الـوعي الجمعـي لـيس بـالأمر السـهل

ويحتاج لوقت فالقضية قضية بناء حضاري نزرع نحن ويحصد خلفنا أو من يليهم.

لا بد من قضية سامية لتكوين مجتمع راشد ولا يفهم من كلامي أن المسؤولية تقع على الشعب وهو وحده يتحمل تبعاتها بل على الجميع القيام بواجباته: أفرادا وجماعات، هيئات وجمعيات هذا كنقطة أولى ضمن برنامج إعادة الرشاد للشعب.

أما النقطة الثانية فهي القيام بعملية النقد الذاتي فان الذي لا يقر بمرضه لن يعالج ويشفى.

أما النقطة الثالثة إيجاد قضية يناضل الشعب من أجل تحقيقها وتجسيدها تكون هي الشحن لعاطفته والمحرك لعقله والموجه لجسمه، تجعل من الشعب فعّالا دائم النشاط مثل فكرة الاشتراكية من قبل، عند المجتمعات التي تبنتها، وفكرة حماية الديمقراطية ونشرها في المجتمع الغربي والأمريكي بالخصوص، وفكرة نشر الإسلام في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم -ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين –عليهم رضوان الله-، المهم أن يكون هناك هدف جماهيري يسعى الشعب لتحقيقه واثبات ذاته من خلال تجسيده، وقد قال نابليون: "إن الجيش العاطل عن العمل لا يقوم إلا بالفوضى"

أما النقطة الرابعة: فهي التخطيط القبلي والمحكم الذي يحسب جميع الاحتمالات ويضع كل الحلول لأي مشكلة تظهر.

لا يمكـــــن الاهتمـــــام بالحلقـــــة وتجاهـــــل السلســـــلة والنقطة الأخيرة هي عدم رؤية الأمور بجزئية فيأخذ كل حدث منفصل عن الواقع مستقل وبالتالي تأتي الحلول آنية جزئية كمن يهتم بالحلقة ويتجاهل أنها جزء من السلسة، فالظواهر الاجتماعية ليست ظواهر مادية تستطيع في المخبر فصل مكوناتها عن بعضها البعض وتعزل الجزء المصاب منها، بل هي ظواهر تتفاعل مع بعضها البعض قد ترى مشكلة ما لكن سببها ليس هذه الظاهرة، بل هو أثر لظاهرة أخرى، كمن يشتكي من ألم في الرأس مثلا وليس رأسه هو المصاب بل لا يعدو الأمر أن يكون أثرا من مرض التهاب اللوزتين مثلا التي من أعراضها صداع في الرأس، فان غير أهل الاختصاص والخبرة يصف له مسكنا للصداع، لكن تناوله لا يزيل عنه الألم ولو اخذ مضادات حيوية لزال الالتهاب وزال معه الصداع .

وكمثال توضيحي نأخذ الشعب – بغض النظر عن المفهوم القانوني البحت لهذه الكلمة- كصورة عامة كانت هناك قبائل إن لم تكن متنازعة فهي غير متالفة والمبدأ السائد عصبية قبلية يجسدها قول الشاعر:

ومـــــا انـــــا الا مـــــن غزيـــــة ان غـــــوت
غويـــــت وان ترشـــــد غزيـــــة أرشـــــد

وحلت بينهم دعوة جديدة – نركز هنا على بعض الجوانب التي لها علاقة مباشرة بموضوعنا- حيث برزت أفكار تتلهف لها الأنفس : فالنساء شقائق الرجال، والبشر أحرارهم وعبيدهم من آدم، وآدم من تراب، ولا فرق بين عربي ولا أعجمي، إلا بالتقوى، ويعطي الأجير حقه قبل أن يجف عرقه،

ويحـــرم الربـــا حتـــى لا تكـــون دولـــة بـــين الأغنيـــاء....

هذه المبادئ لم تكن شعارات براقة ترفع في مناسبات ولم تكن أسطر ميتة ضمن وثيقة جوفاء بل كانت واقعا حيا فعّالا مجسدا، فتكون شعب راشد صـــنع حضـــارة لا زالـــت صـــفحاتها مشـــرقة عبـــر الـــزمن.

ووجب هنا توضيح نقطة حيث أن هناك فرقا بين شعب لم يعرف الرشاد يوما وأراد الرشاد، وبين شعب كان راشدا، وفقد رشاده، وأراد استرجاعه . ففي الحالة الأولى الأمر أسهل بكثير من الحالة الثانية، ففي الأولى الأمر بمثابة طفل ينمو مع الزمن وتتدرج ذاكرته، أما في الثانية فهي تشبه حالة شخص فقد ذاكرته نتيجة لصدمة نفسية دون تلف في خلاياه الدماغية، فشفاؤه ممكن، وهو وإن أراد مع بذل الجهد أن يتذكر شيئا، سيشعر بصداع في رأسه، والحل حدوث صدمة أخرى تكون بقوة الصدمة الأولى حتى يسترجع ذاكرته باعتبار أن فقدانه لذاكرته محاولة لا شعورية منه للهروب من ألم المواجهة والصدمة، والصدمات – ولله الحمد موجودة – بأحجام ومقاييس وأشكال متنوعة ولا يبقى إلا اتخاذ قرار بمواجهتها، وتغيير وضعنا حتى نكون أمة راشدة، خير أمة أخرجت للناس.

اللبنة الثامنة: متلازمة فرعوقارونية

ظاهرة فرعون وقارون تتكرر كل زمان وفي كل مكان كمتلازمة ,باعتبار أن فرعون متسلط سياسيا وقارون متسلط اقتصاديا, والسياسة والاقتصاد كقدمين لجسد الدولة لا يمكن أن تتم المشية السوية إلا بهما معا , والتسلط مرض خطير معد ينخر جسم الدولة إذا أصيب جزء منها سرعان ما ينتقل لباقي الأجزاء , السيد فرعون والسيد قارون رغم أنهما شخصيتين ,كل واحد منهما برز في ميدان مختلف عن الآخر إلا أنهما مكملتين لبعضهما البعض تكامل حتمي إذا أرادا الاستمرارية وزيادة على هذا يملكان قواسم مشتركة يمكن توضيحها كالتالي :

-غياب الوازع الديني الداخلي والذي قد نسميه ضمير أو النفس اللوامة أو الأنا وهو الذي يراقب تصرفات الإنسان ويقيمها بمقياس الدين أو الأخلاق أو العادات والتقاليد حسب البيئة .فيقوّم ما فسد منها لذلك نجد أن قلب فرعون وقارون قد أصابه عمه وختم بل ران على قلبيهما - ...بطانة السوء وحاشية الهلاك من الملأ و الأشراف وأكابر القوم ووجهاؤهم حيث يسارعون لتأييد قراراتهما وتصرفاتهما لا بناءا على عدلها وصحتها بل يؤيدون ما وافق هواهما حتى ينالون بذلك الحظوة ... وأمام هذين العاملين فانه مهما علا صوت خارجي ناصح أمين يدعو إلى التعقل وإحقاق الحق وبسط العدل فهو يبقى غير مسموع لأن الحاشية تشوش عليه وتحرف

وتؤول الكلام وتشوه النوايا وان وصل هذا الصوت لقلب الحاكم بعد كل تلك الحواجز يجد قلوبا عليها أقفالها فهو كالبذرة الجيدة التي غرست في صحراء لا تربتها صالحة للزراعة ولا الأمطار موجودة علها تحي بها ... ومن هنا يتضح أن هناك نوعان رئيسيان من الفساد : فساد سياسي وفساد اقتصادي فأيهما الأصل ؟ الأصل هو لون ثالث من الفساد وان كان غير جلي وهو الفساد الديني فان أثاره واضحة وتأثيره وخيم , الفساد الديني جاء نتيجة تعطيل المؤسسة الدينية والاعتداء على صلاحيات الرب ,حيث ادعى فرعون أنه هو الله الذي ما يريهم إلا ما يرى وما يهديهم إلا سبيل الرشاد, والكهنة إما خوفا من بطشه أو طمعا في ملكه انقادوا له بل أصبحوا المعين على غيه وفساده بعد تسمم الوسط الديني بهذه الأفكار المميتة والتي تحولت إلى أفكار قاتلة (حيث قسم بن نبي رحمه الله الأفكار إلى ثلاثة أنواع أفكار ميتة كحال الأفكار المسيطرة على أمتنا وأفكار قاتلة كالسموم الفكرية الغربية التي اجتاحتنا وأفكار ّفاعلة وهي الفكرة الدينية التي تحي الأمة وتزيل الغمة بعد أن تشحذ فينا الهمة, لكن هذا التقسيم في جوهره غير ثابت فقد تتحول الفكرة من فكرة ميتة بالية منتهية صلاحيتها كالزردة مثلا الى فكرة قاتلة وذلك بالعبث ببعض جيناتها الفكرية في مختبرات ومعامل صناعة الأفكار (... وهكذا تحول الفكر الفرعوني من فكر ميت في بدايته لأن جثته لم تحرق ويطّهر مكان الحرق إلى فكر مميت يقارب هذه الصورة شخصية السيد مصاص الدماء ,فانه حين يهجم على ضحيته ليمتص منها الدم لا يقتلها بل يتركها ,يتلوث دمها وتسقط أرضا (فكرة ميتة)نتيجة

عوامل خارجية أقوى منها ولضعف تحصينها ولتقصير في حماية نفسها ,فهذه الضحية لا تصبح شخص ميت وتنتهي المسألة بل بعد مدة تبدأ في التحول إلى مصاص دماء (فكرة قاتلة أو مميتة) لن الضحية كانت في الأساس حاملة لفيروس القابلية للشر وبالتالي فكل فكرة ميتة تحمل في طياتها بذور فكرة قاتلة ,أما التحول أو الانتقال من طور الفكر الميت إلى فكر قاتل فالأمر يعتمد على أنتاش البذور الداخلية وهي قابلة للإنتاج لكن تنتظر توفر العوامل الخارجية الملائمة فقط .وبالتالي فأساس العلاقة هو علاقة الإنسان بربه فإذا فسدت هذه العلاقة وبطبيعة الحال من الجانب البشري فان هذا الفساد سيتسلل إلى علاقة البشر مع بعضهم البعض في جميع الميادين ,هذا الفساد تشكل في شخصية فرعون في الميدان السياسي فصادر إرادة الشعب وكان هو الدولة والقانون بل ادعى انه هو الرب وتمثل في شخص قارون فكان أنموذجا للرأسمالية المتوحشة التي تنمو بعرق الكادحين وجهد البسطاء من العاملين ...وكما قلنا سالفا فلكل زمن ومكان فرعونه وقارونه وهما متلازمين إذا حظر احدهما استدل به على وجود الثاني على مقربة منه على سبيل اليقين وان لم يشاهد ,لكن يبقى أمر آخر وهو نسبية جلاؤهما للعيان فقد نجدهما كالشمس بازغة في هذه الدولة بينما في دولة أخرى يظهر أحدهما فقط دون ذكر الآخر بينما في دولة أخرى لا تسمع لهما حس وغياب الشيء لا يعني عدمه فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا نرى تجسد الظاهرة القارونية في الشركات المتعددة الجنسيات والكارتلات المحتكرة الممتدة حول العالم كإخطبوط متجذر

مكتسح جميع المناطق ولكن يضرب بها المثل الأروع في الديمقراطية التي هي في حقيقة الأمر شكلية لوجود حكومة خفية جسدت الظاهرة الفرعونية تسمى الماسونية العالمية في مناطق أخرى تعرف بحكومة الظل أو القوى الضاغطة وربما يبقى السؤال الأخير هو ما الحل؟ إن ثار شخص وقتل فرعون أو اغتال قارون كفرد فيظهر فرعون آخر أشد تفرعنا من الأول وقارونا بديل أشد بأسا وأكثر نحسا وبالتالي التركيز ليس على الشخص كذات لأن غالبية البشر حاملين لفيروس متلازمة الفرعوقارونية منتظرين الظروف الملائمة فقط للتفريخ بل الواجب التركيز على الفكرة في حد ذاتها والأفكار بخلاف البشر حية لا تموت نعم قد يصيبها الضعف والانحسار وقد تتوارى على الأنظار في مكان مظلم بعيد تنتظر الفرصة لتضرب من جديد فالحل إذن هو محاولة تحييد متلازمة الفرعوقارونية بتفعيل السياج الأمن من الأفكار والقوانين الاجتماعية والوضعية حتى لا تتضخم الفرعوقارونية في نفوس حامليها فتتجسد على ارض الواقع ويعاني الجميع من ويلاتها وتبقى الفكرة الدينية هي المضاد الحيوي والترياق والضربة الاستباقية لكل فكرة ميتة أو قاتلة تحاول تسميم المجتمع .